بسم الله الرحمن الرحيم

(خمرية لأبي نواس)

خمرية الأقطاب

ألا فاسقني خمراً وقل هي هي الخمرُ   ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهرُ
فما العيش إلا سكرةٌ بعد سكرة . فإن طال هذا عنده قصر الدهرُ
وما الغبن إلا أن تراني صاحياً . وما الغنم إلا أن يتعتعني السكر
فبُحْ باسم مَن تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر
ولا خير في فتك بدون مجانة . ولا في مجون ليس يتبعه كفر
بكلّ أخي فتك كأن جبينه . هلال وقد حفّت به الأنجم الزهر
وخمّارة نهّبتها بعد هجعة . وقد غابت الجوزاء وارتفع النَّسر
فقالت مَن الطراق قلنا عصابة . خفاف الأداوى يبتغى لهم خمر
ولابدّ أن يزنوا فقالت أو الفدا . بأبلج كالدينار في طرفه فتر
فقلنا لها هاتيه ما إن لمثلنا . فديناك بالأهلين عن مثل ذا صبر
فجاءت به كالبدر ليلة تمّه . تخال به سحراً وليس به سحر
فقمنا إليه واحداً بعد واحد . فكان به من صوم غربنا الفطر
فبتنا يرانا الله شرّ عصابة . نجرر أذيال الفسوق ولا فخر

تأويل

قبل خلق الكون اجتمعت أرواح الأقطاب عند الله تعالى. فلكل زمان قطب يدور عليه فلك الكون ومن أنفاسه يستمد الكون روحه وغاية وجوده. ولما كان الخلق تنزّلاً لهذه الأرواح من مقامها الأقدس العلوي إلى قيود الكون والقيد حجاب عن الحق تعالى عبّرت الأقطاب عن مرادها لله تعالى. هذه الخمرية تعبير رمزي عن هذا الأمر. فتعالوا ننظر.

الخمرية لها ثلاثة أقسام. قسم يعبّر عن مراد الروح الطاهرة للولي. وقسم يعبّر عن مراد الولي من الذات الأحدية للحق تعالى. وقسم يعبّر عن علاقة الولي بنور النبي والحقيقة المحمدية.

القسم الأول : مراد الولي.

{ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر . ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر }

الخمر هو الذكر وأعظم مجاليه هو القرءآن، لأنه يغشى روح الذاكر ويجعله يفنى عن حدود نفسه بشهود عظمة ربّه، وكذلك لأنه يبلغ بالروح إلى كمالها الأعلى فيغطّي كل نقائصها. والولي هنا يقول {ألا

فاسقني خمراً} وهو سؤال من الله تعالى لأنه مصدر الذكر "إنا نحن نزّلنا الذكر"، لكن يوجد فرق بين الذكر المجرّد وبين الذكر المجسّد، فالذكر المجرّد حقيقة وحال قائمة بروح الولي، وأما الذكر المجسّد فهو الذكر حين يلبس ثوباً طبيعياً كاللسان واللغة والمثال وفي حالة القرءآن هو اللسان العربي، لذلك قال بعدها {وقل لي هي الخمر}، فالإنسان لا يكتفي بالحقيقة بدون الكلمة، ولا بالكلمة بدون الحقيقة، بل لابد من الاثنين لأن للإنسان وجه للغيب يعشق الحقيقة والمعنى وله وجه للشهادة يعشق الصورة والمبنى. والشاعر هنا يذكر الترتيب الصحيح السليم للعلاقة بين الذاكر والذكر والقول، أي {فاسقني خمراً} أوّلاً وبعدها {وقل لي هي الخمر}، فلا يقدّم القول على فعلية الشيء وواقعيته، ولا يكتفي بواقعية الشيء بدون التعبير عنه بالكلام، بل لابد من الجمع على هذا الترتيب، العقل ثم القول. ثم قال {ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر} توحيداً بين السر والجهر في مقام الجهر، لأن الجهر هو الأصل والإنسان لا يسرّ الشيء إلا لوجود الإكراه والجهل والقهر من الخارج فيضطر إلى تقسيم ذاته إلى قسم سرّي وقسم جهري وهي حالة مرضية، لذلك قال الشاعر {ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر} لأنها الحالية السليمة التي تتوحّد فيها النفس وتكون لها الهيمنة على خارجها لا أن الخارج يهيمن عليها. فالمراد الأول للولي هو تعقل الحقيقة وقول الحقيقة والهيمنة بالحقيقة والظهور

بها. العقل والقول والظهور. بالعقل يتوحّد العاقل مع الوجود، وبالقول تتوحّد عوالم العاقل داخل ذاته، وبالظهور يتوحّد مع محيطه. فمدار مرادات الولي هنا كلّها هو التوحيد والوحدة الوجودية على كل مستوى.

{ فما العيش إلا سكرة بعد سكرة . فإن طال هذا عنده قصر الدهر }

العيش في الدنيا سجن مؤقت للروح فهو شقاء للروح من هذا الوجه. ولكل روح أجل ستبقى فيه في الدنيا "ولكل أجل كتاب"، وهو فترة سجنها. فمراد الولي هنا أن لا يشعر بالزمن الذي سيضطر أن يقضيه في الدنيا. فتغيير قضاء الله مستحيل، لكن تغيير كيفية تفاعل العبد مع قضاء الله ممكن، ولحصول هذا التغيير الممكن يقول الشاعر {فما العيش} فالعيش هنا هو العيش في الدنيا لكنه يشير إلى حسن العيش في الدنيا وتغيير كيفيته إلى كيفية مقبولة، {فما العيش إلا سكرة بعد سكرة} والسكر تغيير العقل في كيفية نظرته للدنيا وليس تغييراً لذات الدنيا، وحيث أن العبد لا يستطيع تغيير أجله وقضاء الله له في سجنه الدنيوي-والانتحار ليس خلاصاً من شقاء الدنيا على التحقيق لأنه خلاص من شقاء أدنى إلى شقاء أخروي أعلى والعياذ بالله فالعبد لابد من أن يقبل البقاء في الدنيا ما دام لم

ينقضي أجله فيها ولا يستعجل الرجوع إلى الله والآخرة التي هي وطنه الأصلي. لذلك يأتي الشاعر المعبّر عن مشاعر الأولياء فيقول {فما العيش إلا سكر

بعد سكرة} فالحل الوحيد الممكن لعدم استشعار شقاء البقاء في الدنيا هو السكر المستمر. سكرة في الليل بعدها سكرة في النهار، وسكرة النهار بعدها سكرة الليل، وهكذا إلى انقضاء الأجل. فإن فعل هذا وأدام السكر لن يستشعر الزمن وسيقصر عنده الزمن وهو معقول ومجرّب، لذلك قال مبيناً سبب دعوته إلى السكر المستمر لتحسين العيش {فإن هذا هذا عنده قصر الدهر} فالغاية هي تقصير الدهر، لكن معلوم أن الدهر لا يقصر في ذاته بل بالنسبة لشعور الشخص، فالساعة لا تصبح خمسين دقيقة بسبب السكر لكن السكر يجعل الساعة تبدو للنفس كأنّها دقائق معدودة من الفرح والابتهاج وغير ذلك من المشاعر المصاحبة للسكر. فالزمن الكمّي لا يتغيّر، لكن الزمن الكيفي أي شعور الإنسان بالزمن الكمّي هو الذي يتغيّر بالسكر. فقوله {قصر الدهر} أي قصر بالنسبة إليك لا في ذاته ولا يهمّ ما هو الدهر في ذاته وإنما يهمّ الإنسان تجربته الشخصية مع الدهر.

{ وما الغبن إلا أن تراني صاحيا . وما الغنم إلا أن يتعتعني السكر }

السكر ضد الصحو، والصحو رؤية الدنيا من حيث هي دنيا أي منفصلة عن استغراق الروح في نور ذكر الله، فلو استغرقت الروح في نور الذكر فإنها لن ترى الدنيا كدنيا لكن ستراها بالله وفي الله وكآيات الله وكمثال للآخرة. فالصحو غبن أي خسارة وخداع ونقص للحال الأكمل، لأن الدنيا يمكن أن تراها كدنيا فقط ويمكن أن تراها كمجلى أسماء الله ومثال آخرة الله وكلمات آيات الله، فرؤيتها كدنيا فقط غبن قطعاً. وأما الغنم فهو أن يتعتعه السكر، والتعتعه فيها معنى الحركة بشدة وفيها معنى تردد المتكلّم في كلامه بسبب العيّ، والمقصود بالسكر هنا الحال التي تصيب النفس من شدّة إشراق النور الإلهي فيها بسبب الذكر فتحرّك عقله تحريكاً شديداً بالمعانى والروابط العقلية والمشاهدات الوجودية فيتردد لسانه من شدّة توارد المعاني عليه وقوّة ما يشهده ويظهر كموسى "لا يكاد يبين" من عظمة ما شهده ويشهده، لذلك قرنه ب{الغنم} الذي هو الكسب ونيل الشيء المفيد، فغنم الذكر سبب والأثر هو التعتعة باطناً وظاهراً.

{ فبح باسم مَن تهوى ودعني من الكنى . فلا خير في اللذات من دونها ستر }

{اسم مَن تهوى} هو الذات الأحدية المطلقة للحق تعالى، والبوح بها بدون كنى هو ذكر حقيقة الوحدة المطلقة للذات الإلهية وأنه لا وجود ولا موجود سواه "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" و "فأينما تولوا فثم وجه الله". فالشاعر هنا يذكر أقصا مقام يبلغه الذاكر وهو مقام الوحدة المطلقة بالإطلاق الحقيقي الذي يتعالى حتى على مجرد الإطلاق الذي له ضد هو التقييد. وهذه هي اللذة الكبرى للسرّ الإنساني، ومن هذه اللذة تنتشر اللذات في بقية مستويات الوجود الإنساني من إرادة فتكون إرادته إرادة الله وعقل فيكون تعقله عين علم الله وشعور فيكون شعوره مظاهر رضا الله وسخطه وخيال فيكون خياله مرآة آيات الله وحواسه فتكون حواسه آلات فعل الله "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم". {فلا خير في اللذات من دونها ستر} وهو ستر الألفاظ التي تخفي حقيقة الوحدة الوجودية المطلقة لله تعالى، وستر الأفعال التي يقوم بها الإنسان كوسيلة لإبراز الفرق بينه وبين الله سبحانه مراعاة لجهلة البشر أو خوفاً من ظلم فراعنة زمانه. البوح هو حرية الكلام المطلقة التي لها أن تبوح بما تشاء بدون كناية ولا رمز ولا تعمية ولا تورية ولا حذف ولا تحريف ولا أي قيد وإخفاء، وهي القمّة التي بحصولها تصبح روح الولي في الدنيا أقرب ما تكون إلى السعادة، ولذلك يحارب الأولياء وعلى رأسهم النبي لأنهم {يقولوا ربنا الله}. الشاعر هنا يعبّر عن استهلاك سر الولي في الوجود

الإلهي المطلق الذي لا يحتمل أصلاً الكنى لأن الكنية نفسها على الحقيقة هي عين الذات الإلهية، فلا يوجد في هذا المقام فصل بين الكنية وما تكنيه، ولا الرمز وما يرمز له، ولا المثال والممثول، بل هو مقام الوحدة المطلقة والأحدية الصرفة. وفي هذا المقام اسمها هو اللاسم، ليس لها اسم لأن كل اسم قيد وهي وراء كل قيد، لذلك قال {فبح باسم من تهوى} بدون تعيين اسم لها ، فالتعيين يكون بحسب ما تهواه أنت، فكل ما تهواه أنت فهو اسمها ، إذ هي وراء كل اسم وكل اسم هو اسمها في آن واحد، فلما لم يبق غيرك وليس غيرك أولى منك في تعيين اسم لها فليكن ما تهواه أنت هو اسمها ، ومن هذا المقام قال الحلاج "أنا الحق".

{ ولا خير في فتك بدون مجانة . ولا في مجون ليس يتبعه كفر }

الفتك فيه معنى الإقدام على الشيء بقوة وكذلك معنى القتل، والمقصود هنا لا خير في الفتك بنفسك أي قتلها بالذكر بقوة حتى إلا إن وصلت إلى حالة المجانة التي فيها معنى المجانية أي الإباحية وعدم وجود مقابل لما تفعله، نعم لأن تحصيل فناء النفس في الوحدة الإلهية هو فتك بالنفس لكن إن فتكت بها على أمل أن يحصل لك أجر وجزاء وثواب دنيوي أو أخروي فأنت لم تزل موجوداً لم تفنى بعد ولا تزال في الثنائية والكثرة حيث تتوقع المقابل لفعلك، لكن الفتك

الحق هو الذي يصل بك إلى المجانة التامة أي حين تفنى أنت ولا يبقى إلا الله "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" هذا هو الخير أي الحقيقة الوجودية الصادقة. لذلك بعد المجون لابد أن يأتي الكفر، والكفر هو التغطية والستر، فبعد الفناء يزول الفرق بينك وبين الله بحيث لا يبقى إلا الله وهو الفعّال لما يريد وأنت عبد خالص له لا تشهد حتى عبوديتك ولا ترى فرقاً أصلاً بينك وبينه فهو القائم القيّوم لا غير "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم"، وبعد المجون لابد من الكفر، فالمجون غياب عن الثنائية في الحال والكفر هو غياب عن الثنائية في المآل، أي تبطل حتى توقع الجزاء لاحقاً أو تحقق وجودك لاحقاً وعودة نفسك إليك بعد حين، فأنت لا تفني نفسك اليوم من أجل أن ترجع غداً فتكون كصاحب صفقة يبيع عاجل بآجل فهذا أيضاً دليل على عدم خلوص الوحدة المطلقة، كلا، الوحدة المطلقة يعني الآن ولاحقاً ودائماً لا يوجد إلا الله ولا صفة إلا له ولا فعل إلا له بل هو. فالفتك والمجون والكفر هم الفناء عن النفس وأفعالها وآثارها. فإن تم هذا تم نور الولي الذي هو تمام إشراق نور الله إذ "الله نور السموات والأرض" ولا نوره إلا نوره، فقول النبي والذين ءامنوا معه "ربنا أتمم لنا نورنا" يعني تمام إشراق نور الله وغياب كل ظلمة لوجودنا الخاص بنا وهو العدم والفقر الأصيل للعبد. هذا كلّه في سرّ الولي وغيبه.

وإلى هنا ينتهي القسم الأوّل الذي يعبّر فيه الشاعر عن مراد القطب من حياته التي قدّر الله له قضائها في الدنيا. ثم يأتي القسم الثاني الذي يعبّر فيه القطب عن صلته بالأقطاب وما سألوه الذات الإلهية قبل خلق الكون.

القسم الثاني: سؤال الأقطاب الحق تعالى.

{ بكل أخي فتك كأن جبينه . هلال وقد حفّت به الأنجم الزهر }

أخو الفتك عبارة عن القطب فهنا بدأ يذكر الأقطاب الآخرين وعبّر بأهمّ أعمال القطب وهو الفتك بنفسه في سبيل الله فيفنى هو ويبقى الله والباقي فروع لهذا الأصل الأكبر. {كأن جبينه هلال وقد حفّت به الأنجم الزهر} جبينه عبارة عن أعلى الوجه فيرمز إلى أعلى العقل، أي عقله الأعلى هلال من حيث أنه يستمد الضوء من الحق تعالى كما يستمد القمر نوره من الشمس، فالقطب عبد لله يستمد منه، فهنا بدأ التنزّل من مقام الوحدة المطلقة إلى الظهور في العوالم، فبدأ بأعلى ما عليه القطب وهو عقله الأعلى الذي يستمد من الله مباشرة ويرى فقره إلى الله باستمرار في العلم والحكمة وتنزّل الفهم عليه لذلك عبّر عنه بالهلال الذي هو أوّل منازل القمر فالقطب دائماً يتذكر

جهله الذاتي وقلة علمه بالنسبة إلى علم الله ويرى نفسه في أول المنازل وأضعفها وأقلها كما قالت الرسل في الآخرة "لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب" بالرغم من أن الله سألهم ولولا وجود العلم فيهم لما سألهم، لكن في الحضرة الإلهية لا يوجد إلا "لا علم لنا إلا ما علمتنا" كما قالت الملائكة، فمهما استنار القطب لا يرى نفسه إلا هلالاً في أحسن الأحوال بالنسبة لعلم الله المحيط والأصيل. {وقد حفت به الأنجم الزهر} الأنجم هنا هي كلمات الله وآياته التي تحفّ بعقل القطب دائماً، وكذلك هي الملائكة التي تحف بعرش عقل القطب وتمدّه وتسجد له وتتولاه للقيام بأمره وتكليفه دنيا وآخرة.

{ وخمّارة نهّبتها بعد هجعة . وقد غابت الجوزاء وارتفع النسر }

الخمّارة هنا هي الذات الإلهية الغيبية المحضة التي هي وراء كل وراء، وهي التي تغطي وتغشى وتحيط بكل شيء فهي خمار كل شيء مطلقاً. والشاعر هنا يعبّر عن جميع الأقطاب كمتكلّم بالنيابة عنهم فهو قطب الأقطاب وإمامهم الذي يتقدّم وفدهم على الله تعالى. والإشارة بالهجعة وارتفع النسر هي إلى ليل الأزل أي قبل نهار خلق الكون.

{ فقالت مَن الطرّاق قلنا عصابة . خفاف الأداوى يبتغى لهم خمر }

قالت الذات الإلهية للأقطاب {مَن الطرّاق} فالحق مطلق ولا يتقيّد عطاؤه إلا بحسب سؤال السائلين وإلا فهو مطلق في ذاته والمطلق لا يتقيّد من ذاته بذاته بل لابد من سؤال واستعداد وشيء من دونه، لذلك سألهم صفتهم في القدوم عليه. فقالوا {عصابة} كما قال النبي عن أصحابه المقربين في غزوة بدر "إن تهلك هذه العصابة"، فهي جماعة بينها عصب يجمعها وهنا هو القطبية والولاية الكبرى ولهم إمام يقودهم وهو الشاعر. وهذه العصابة تسأل الحق تعالى من فضله حتى تنزل إلى الدنيا وتقوم بعملها في الكون. فهي تخشى أن تنزل إلى الدنيا وليس لها خمر لأنها عرفت الدنيا وقيودها الزمانية والمكانية بالتالي فيها عذاب للروح الحرة ذاتياً والمقدّسة نفسياً. {خفاف الأداوى يبتغى لهم خمر} الأداوى هي القلوب وهي خفيفة حين تنزل إلى الدنيا لأنها ستأخذ علومها بواسطة الحواس، والطبيعة لا تمدّ القلب بالعلم والذكر الإلهي بواسطة الحواس إذ الحواس لا تكسب الذكر من الطبيعة مهما نظرت وشمّت وذاقت وسمعت ولمست ونحو ذلك، بالتالي استشعروا خفّة قلوبهم وفراغها من خمر الذكر. وهذا هو الطلب الأول. ثم ذكروا الطلب الثاني فقالوا..

{ ولابد أن يزنوا فقالت أو الفدا . بأبلج كالدينار في طرفه فتر }

{يزنوا} هنا لها معنيان. الأول من الوزن وهو الفكر الذي يزن الأمور، إذ لابد للإنسان من استعمال فكره لمعرفة الأسباب والآثار ومعرفة المنافع والمضار مادام في الطبيعة فلابد أن يزن ويستعمل قدرة الفكر لاختيار المسار الأسلم للجسم، فالذكر للروح والفكر للجسم، فالذكر هو الخمر وهو الطريقة، والفكر هو الوزن وهو الشريعة، ولابد للأقطاب من شريعة يسيرون عليها ، فمن أين سيحصلونها والطبيعة لا تمدّ بشريعة من ذاتها بواسطة الحواس، وكذلك لابد للشريعة من شخص يجسّدها ويريها للناس بسنّته "فبهداهم اقتده" "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" وهو المعنى الثاني للزنا هنا أي لابد من شخص نستن به ونتصل به ونجتمع به وعليه حتى نأخذ منه ميزان الشريعة. فجاء الجواب ضمناً بأن الخمر تم الامداد به ولم تذكر الخمّارة هنا استجابة هذا الطلب بالنص لكن لأنها لم تذكره وذكرت الفدا من الزنا فقط عرفنا ضمناً أنها وافقت على الامداد بالخمر، والتأويل أن الذكر غيبي في حقيقته وسيتم امداد الأقطاب والأولياء بالذكر بدون واسطة رسول ونبي بل مباشرة من الله تعالى وهي النبوة العامة الباقية وغير المنقطعة وهي نبوة الولاية ونورها. لكن بالنسبة لمظهر النور الإلهي في الجنس الإنساني وهو الرسول فقد قالت {أو الفدا بأبلج كالدينار في طرفه فتر} وهو النبي، لأنه خليفة الله في العالَم، فلما أراد الأقطاب رؤية الله في العالَم إذ لم يحتملوا الحجاب

عنه وخشوا من الدنيا لأنها تحجب عن الله سألوا الخمّار الزنا بها فقالت {أو الفدا} أي سأعطيكم خليفتي فإن يده هي يدي "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله" وطاعته طاعتي "من يطع الرسول فقد أطاع الله" ورضاه رضاي "والله ورسوله أحق أن يرضوه" وفضله فضلي "أغناهم الله ورسوله من فضله" وهكذا هو خليفة الله بأقصى ما تحتمله الكلمة من معنى. ووصف الرسول بعدها بقوله {بأبلج كالدينار في طرفه فتر} فالأبلج من الحق كما قال النبي "الحق أبلج" وقال عن نفسه "من رآني فقد رأى الحق" فالأبلج هو النبي لأنه الحق ومظهر الحق ومرآة الحق ووسيلة الحق. كالدينار لأنه ذهبي أي شمسي المقام "سراجاً منيراً" "جعل الشمس سراجا" فكما أن القطب هلال بالنسبة لشمس الله أمدنا الله هنا بشمس النبي ليكون خليفة لشمس الألوهية المتعالية، فشمس الألوهية تضيء السر ما وراء العالَم وشمس النبي تضيء القلب في العالَم، وكذلك كالدينار أي دين ونار فالنبي هو صاحب الدين الذي برز من نار الله كما كلّم الله موسى من النار وأوحى إليه منها، والنبي أيضاً هو صاحب الدين الذي من خالفه دخل النار والعياذ بالله "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم". في طرفه فتر أي عينه غير مفتوحة على الدنيا كل الانفتاح ولا هي مغلقة عنها كل الانغلاق بل بعض عينه ينظر إلى الدنيا وبعضها مغلق عنها لأنه مفتوح على الآخرة،

فالطرف الفاتر عبارة عن الناظر إلى الدنيا والآخرة معاً، لذلك الفتر يشير إلى درجة من الانغلاق بالتالي النظر إلى الباطن كالنوم وهو النظر إلى باطن الدنيا أي الآخرة "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون"، فالنبي يأتي بدين يوازن بين النظر إلى الدنيا والنظر إلى الآخرة فيكون في طرفه فتر رمزياً.

{ فقلنا لها هاتيه ما إن لمثلنا . فديناك بالأهلين عن مثل ذا صبر }

فلما عرفوا خصائص النبي وخلافته ودينه ومقامه ونفعه وافقوا على النزول إلى الدنيا لعلمهم بحضور النبي فيها وهو خليفة الله. فقالوا للحق تعالى {هاتيه ما إن لمثلنا فديناك بالأهلين عن مثل ذا صبر} فذكروا الفداء بالأهلين لأن معية النبي يجب شرائها ولو بترك الأهلين فضلاً عن الأموال التي هي دون الأهل، كما قال "قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم..أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله" فقدّم الرسول على الأهل كلهم وعلى الأموال أيضاً من باب أولى. فعلموا أن النبي أغلى وأثمن وأعظم ما في العالَم، ولابد من تفديته وتفدية الجهاد معه على كل شيء بشري ومالي على السواء.

{ فجاءت به كالبدر ليلة تمّه . تخال به سحراً وليس به سحر }

البدر التام هو النبي وهو ظاهر، فالقطب هلال لكن النبي بدر تام، كذلك القطب دائماً مع النبي يرى نفسه ناقصاً بالنسبة إليه وتابعاً له، فالولي تحت قدم النبي أبداً محبة وطوعاً وتعظيماً وتسليماً. وهو الوجه الثاني للنبي أي الوجه القمري خلافاً للوجه الشمسي المشار إليه بالدينار سابقاً، "وسرجاً منيراً "و "قمراً منيراً"". ففي البيت السابق ظهرت حقيقة النبي الأحمدية في غيب الأزل للأقطاب إذ كانت الخمّارة تتكلّم عنه وتشرح حقيقته للأقطاب، لكن في هذا البيت ظهرت حقيقة النبي المحمدية في شهادة العالَم والعالَم ليل وظلام لذلك ذكر البدر {ليلة} تمّه. فلما ظهرت النبي في الدنيا قال عنه الكفرة ما قالوه كرميه بالسحر فرد الشاعر هنا {تخال به سحراً وليس به سحر} أي لما ظهرت في الدنيا تعرّض لمثل هذه التهم الباطلة. {تخال به سحرا} لأنه يتكلّم بمنطق أخروي لا منطق دنيوي، وعينه تنظر إلى باطن العالَم لا فقط ظاهره فيستغرب الناظر إليه من عينه وتصرفاته، ولأنه ينظر في باطن قلبه وليس فقط ظاهر حسّه، ويعبّر بالأمثال ويعترف بوجود أشياء لا تشهدها الحواس العادية للبشر فيرمونه بالسحر أي هو مسحور يعتقد ما لا وجود له ويظن أنه يفعل ما لا يفعله في الظاهر لأنه يتصرّف بباطنه في باطن الأمور ويغيّر الأشياء من أسبابها العلوية والغيبية ونحو ذلك من أمور كلّها غائبة عن غرقى ليل الدنيا فيرمونه بالسحر لكن الحق أنه {ليس به سحر}.

{ فقمنا إليه واحداً بعد واحد . فكان به من صوم غربتنا الفطر }

{فقمنا إليه} أي الأقطاب، {واحداً بعد واحد} إذ في كل زمان واحد يوجد قطب واحد، ولا يأتي قطب إلا بعد رحيل القطب الذي قبله، وكلما قام قطب إنما يقوم للنبي حتى يمدّه النبي بالنور الإلهي الخاص الذي هو خلافة عن النبي، فكل الأقطاب خلفاء النبي والنبي خليفة الله في العالَم أي خلافة الشريعة ونورها وحمل القرءآن وكتاب الله الذي جاء به الرسول وتعليمه للناس وتزكيتهم وإصلاحهم به وبالصلاة. {فكان به} أي كان بالنبي والقيام له والأخذ منه {من صوم} وليس من صيام، فالصوم عن الكلام كما أن الصيام عن الطعام كما قالت مريم "نذرت للرحمن صوما فلن أكلّم" لكن في رمضان قال "كتب عليكم الصيام"، وهنا المقصود أن الأقطاب كانوا في العالَم في حالة صوم أي لا كلام إلهي عندهم إذ لا ينزل كتاب الشريعة والكتاب باللسان العربي والوحي الخاص بالأمر والنهي إلا على النبي لذلك كان بالنبي من صوم غربة القطب {الفطر} فإن النبي أطعمه كلام الله وفتح له قلبه حتى يمتلئ بنور الله فيفهم عن الله كتابه، وبذلك يصبح القطب ليس في غربة في العالَم لأن الغربة هي المكان الذي لا تملكه والقطب غريب في العالم لأن العالَم ملك النبي بتمليك الله له إياه، فلما نقل النبي سر الخلافة للقطب صار القطب ملكاً للعالَم

تابعاً للملك الحقيقي له الذي هو النبي. وهذا حال الأقطاب كلهم. فالنبي ملك العالَم لأنه خليفة الملك الحق الذي هو الله تعالى وحده، والقطب ملك العالَم بنور النبي وكتابه لأنه خليفته.

{ فبتنا يرانا الله شرّ عصابة . نجرر أذيال الفسوق ولا فخر }

{فبتنا} أي الأقطاب كلهم، {يرانا الله} بعد أن حصّلنا الولاية الإلهية والخلافة النبوية، {شرّ عصابة} الشرّ هو العدم والفقر كما أن الخير هو الوجود والغنى، فالأقطاب {شر عصابة} لأنهم الفقرآء إلى الله بالحقيقة وبالعلم وبالوعي وبالتصرّف بناء على هذا الفقر خلافاً للجهلة الذين هم فقراء إلى الله لكنهم في طغيانهم يعمهون. فشرّ عصابة هم الأقطاب لأنهم أفقر الناس إلى الله حالاً وعلماً وعملاً، إذ ولايتهم تجعلهم في طريقتهم فقراء بالذكر والوجود وتعقل فقرهم الذاتي إلى الله باستمرار وبالتوكل عليه، وخلافتهم تجعلهم في شريعتهم فقراء بالأمر والسلوك واتباع النبي في كل صغير وكبير. فهم الفقراء حقاً. {نجرر أذيال الفسوق} الفسوق هو الخروج عن الشيء، أي خرج الأقطاب عن بقية الناس بل والخلق بكونهم دخلوا في الفقر المطلق إلى الله تعالى، فلا يرون لوجودهم وجود إلا وجود الله ولا يعملون عملاً إلا كان الله هو الفاعل له ولا يتبعون إلا كتاب الله ورسول الله في كل صغير وكبير، فخرجوا عن كل من سواهم

بتحقيق سر الفقر وحقيقته من كل وجه، لذلك {لا فخر} أي لم يخرجوا عن بقية الخلق فخراً عليهم ولم يدعوا أنهم خرجوا عن بقية حال الخلق فخراً ولا كان غرضهم في ذلك كله هو الفخر والتفاخر، بل إنما هي حقيقة يحيونها وحقيقة يذكرونها من قبيل قول النبي "أنا سيد ولد آدم ولا فخر".

والحمد لله رب العالمين.

....